

رسالة عربي لليهود العرب

زيد الفصيل

باحث في التاريخ الثقافي والاجتماعي



@zash113

جائزة الأمير عبدالعزيز بن عياف لأنسنة المدن

وليد الزامل

متخصص في التخطيط العمراني



@waleed_zm

استثمارات أكاديمية واحدة.. هل هن سبيل؟! بندر الزهراني



@drbmaz

أشرت في مقالتي السابق إلى أننا كعرب ومسلمين لم نكن ضد اليهود كدين وعرق، إذ لم يتعرض اليهود في أكبر البلدان العربية التي عاشوا فيها، وهي اليمن والعراق ومصر واضطهاد ممنهج، أسوأ بما تعرضوا له في أوروبا، فلم يتعد أحد عليهم، ولم تتم مصادرة أموالهم، أو التضييق عليهم في ممارسة عباداتهم، وظلت معابدهم قائمة على أصولها، بل أتاح العرب لهم الاستيطان في أحياء خاصة، بهم في ظل حماية الدولة والمجتمع.

في الوقت الذي عمد المجتمع الغربي إلى اضطهادهم وتعذيبهم والتكثيف بهم، وصولاً إلى إزديانهم العرقي حتى إنهم استنقذوا اليهود من دخول بعض الأماكن التجارية من مطاعم وخلافه، وهو ما لم يحدث لهم في الوطن العربي بأكمله، الذي يجازونه اليوم بأسوأ أجزاء، ودون عقل وحكمة.

ذلك أن الحكمة تقتضي أن يحسب يهود العرب لخط الرجعة، وهو أمر حتمي لمن وعى وتدير، فالأمر لن يستقيم لهم في فلسطين المحتلة، طال الزمن أو قصر، ولن يجدوا ملجأً يركنون إليه في نهاية المطاف سوى الأرض العربية، لكنهم بغرورهم وتجبرهم قد أمعنوا في تقطيع أوصال الرحمة بينهم وبين العرب جُملة، بارتكابهم أبشع المجازر في حق أهلنا بفلسطين، وهو ما أثنى الجراح في نفس كل عربي حز، ومسلم أبن، وبالتالي فلن يكون باستطاعة النفوس العربية والمسلمة التي رافت بهم، على امتداد تاريخهم، أن تراف بهم مستقبلاً، فهل يعي يهود العرب بخاصة هذا الأمر.

في هذا السياق، أشير إلى أن اليهود قد عاشوا في المغرب، ثم في الأندلس (إسبانيا والبرتغال حالياً) آمنين مطمئنين في كنف العرب المسلمين، الذين تزامن وجودهم مع تعرض اليهود لاضطهاد ملك القوط الكاثوليكي عام 700م، والذي فرض استعبادهم، فجاء العرب المسلمون لينقذوهم من ذلك، وليعيشوا حياتهم بعدد في كنف الدول العربية المسلمة في أمن وكرامة، حيث سمح لهم الإمام إدريس الثاني المتوفى عام 213هـ/828م بالإقامة والعمل في مدينة فاس، باعتبارهم أهل ذمة يجب حمايتهم ورعايتهم واحترام شعائرتهم، ليستمر ذلك على امتداد الحكم العربي المسلم في المغرب، مروراً بالدولة السعيدية التي بانتصارها في معركة وادي المخازن، حمت اليهود من جيروت ملك البرتغال سبستيان، الذي كان يزمع قتل جميع اليهود في المغرب، ثم حين سقوط فرنسا في يد ألمانيا النازية عام 1940م، وتعيين ألمانيا لحكومة فيشي على فرنسا، رفض الملك محمد الخامس إرادة الفرنسيين إرسال يهود

سعدت في الأسبوع الماضي بحضور حفل جائزة الأمير عبدالعزيز بن عياف لأنسنة المدن في دورتها الأولى، والذي احتضنته جامعة الملك سعود ممثلة في كلية العمارة والتخطيط. الجائزة تهدف إلى دعم الباحثين من طلاب وطالبات البكالوريوس والدراسات العليا، وأعضاء هيئة التدريس والعملاء في الجامعات لتقديم بحوث ومشاريع عمرانية تدعم مبدأ أنسنة المدن.

تسهم الجائزة في خلق التنافسية بين الباحثين لتأهيل البيئة العمرانية وخلق المجالات الفاعلة في المدن، بما يحقق التفاعل الاجتماعي والكفاءة الاقتصادية.

لقد أشار سمو الأمير عبدالعزيز بن عياف في كتابه «الإدارة المحلية والقطاع البلدي والتحديات والفرص الضائعة» (ص: 265)، إلى مفهوم أنسنة المدن بوصفها «تعزيز البعد الإنساني في المدن، تمثل التحول من المكان الصامت إلى المكان الفاعل الذي تنتج فاعليته من تشكله في نسيج عمراني، يبصر للإنسان صنع مسيرته الشخصية، ويحقق للجماعة تشكيل هويتها الاجتماعية». كما أكد خلال عمله أميناً لمدينة الرياض على مبدأ المشاركة المجتمعية بين السكان والأمانة، والمبينة على تلمس احتياجات السكان والسعي نحو تحقيقها خلال مبادرات بلدية طموحة. هذا المفهوم يعطينا تصوراً شمولياً حول أنسنة المدن باعتبارها ليست مجرد تحسين مادي أو جسدي للبيئة العمرانية؛ بل أن تكون البيئة العمرانية محوراً رئيساً يحفز الإنسان لصنع هوية المكان، والعيش بسعادة، والتفاعل والإنتاج بكفاءة.

اليوم، أنسنة المدن تعد أحد الأهداف الاستراتيجية التي وضعتها الرؤية الوطنية 2030 تأكيداً على تماشي المدن بكل مكوناتها مع احتياجات الإنسان بما في ذلك البيئات السكنية، والمناطق الترفيهية، والخدمات، والمساحات الخضراء.

المدن اليوم ليست مجرد مبان شاهقة ومنشآت خرسانية لا تحواء السكان، بل هي نظام حياة يستغل الموارد المتاحة ويعمل على توظيفها بالشكل الأمثل، ليعيش سكانها براء. وهكذا فالمدينة كالإنسان تتكون من الروح، والنفس، والجسد، إذ لا يمكناً تحسين الجانب الجسدي للإنسان بمعزل عن الجانب النفسي والروحي.

لكي تتحقق أهداف الأنسنة، علينا أن نبداً بوضع برامج تترجم أهداف «أنسنة المدن» بما في ذلك البرامج الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية. ولعلي لأخص بعض هذه المقترحات على النحو التالي:

أولاً: البعد الثقافي في أنسنة المدن، ويشمل دعم كل المبادرات الثقافية في المدينة التي تزيد من ارتباط السكان بالمدينة وتعزز الانتماء، بما في ذلك الهوية البصرية للمدن، ودعم الفعاليات الوطنية، والأنشطة الثقافية.

ثانياً: البعد الإجرائي في أنسنة المدن، ونعني به تلمس احتياجات المواطن في المدينة خلال تسهيل الإجراءات الحكومية وتقديم التعليم المميز، وأنظمة الرعاية الصحية، ودعم حقوق المعاقين، وبرامج دعم كبار السن، وتشجيع المشاركة المجتمعية في صناعة القرار البلدي، وتطوير قوانين لنبد العنصرية.

ثالثاً: البعد الجسدي في أنسنة المدن، وتتضمن تأهيل البيئة العمرانية بشكل يدعم التوازن الطبيعي، وزيادة المساحات الخضراء، والحفاظ على الصحة العامة، بما في ذلك تنوع بدائل النقل وتعزيز بيئة المشاة، والحفاظ على الحياة الفطرية.

ختاماً، فإن مشروع أنسنة المدن هو مشروع جبار بدأه سمو الأمير عبدالعزيز بن عياف، منذ أن كان أميناً لمدينة الرياض، ويتبنته الرؤية الوطنية 2030 كتوجه استراتيجي للمدن السعودية. ولا شك أن استمرار هذه الجائزة كفيل بتشجيع العلماء والباحثين في ترسيخ مبادئ وبرامج أكثر شمولية، لتلامس كل الجوانب في أنسنة المدن.

إذا ما ذكرت الصناديق الاستثمارية الحديثة فإن الصندوق السعودي للاستثمارات العامة يأتي في طليعتها، إذ يتمتع هذا الصندوق بقيادة عصرية متميزة ومتفوقة تقود استثماراته العالمية بكل كفاءة واقتدار، وتشتمل في مجالات مختلفة، داخلية وخارجية، ولا أدل على نجاح استثماراته وتفوقها وانتشارها إلا طبيعة ما يحوز عليه من استثمارات وما يحظى به من حضور عالمي بارز ومناقب، ومن ذلك على سبيل المثال حضوره في الاستثمارات الرياضية، فبعد استحواذ الصندوق على نادي نيوكاسل البريطاني وقرب استحواذه على نادي مرسيليا الفرنسي، واستحواده على أندية محلية ذات شعبية عالمية كنادي النصر السعودي، ينتار إلى ذهني كأكاديمي ومتابع لنشاط الصندوق التساؤل التالي: هل هناك إمكانية لاستحواذ الصندوق على إحدى الجامعات المحلية واستثمار طاقاتها البشرية ومواردها المالية بشكل أمثل؟

في اعتقادي أن حدوث مثل هذا الأمر ليس مستحيلاً، ولا صعباً، والفرصة في هذا المجال أصبحت مهياً لصندوق الاستثمارات العامة أكثر من ذي قبل، خاصة في ظل استقلال بعض الجامعات، وتطور أنظمة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية بشكل مدهل ومشجع، وانفتاح المجتمع على السياحة والترفيه وبالتالي نمو مؤشرات رفاهيته وجودة حياته، وكما أن لاستثمار الصندوق في الجامعات مبررات مالية ولو على المدى البعيد، فإن ولوجه في هذا المجال سيؤسس في الجامعات نهضة علمية وفكرية حضارية حقيقية، مرجعها الأول الاستثمار ووقودها المنافسة وغايتها النجاح.

المغرب إلى معسكرات الإبادة، ووقف أمام القوانين النازية لحكومة فيشي، واستطاع أن يحفظ لليهود أسس الحياة الدينية والمدنية؛ ثم وحال رغبتهم بالهجرة إلى فلسطين المحتلة قدم الملك محمد الخامس عرضاً لهم، بمنحهم كل الحقوق السياسية والاقتصادية والمدنية في مقابل التوقف عن الهجرة إلى أرض فلسطين المحتلة، لكن ذلك لم يرق لليهود الذين عمدوا إلى الهجرة برعاية دولية.

كذلك الحال في اليمن، فقد عاش اليهود في أمن وأمان، حتى إنهم باتوا جزءاً من الثقافة اليمنية التي ما فتئت مصاحبة لهم حتى وقتنا الراهن، وتم التعامل معهم وفق أحكام أهل الذمة التي كفلت لهم الحماية من أي اعتداء، بل وكانوا ضمن قائمة المشمولين بالحصانة بين القبائل اليمنية وفق العرف القبلي. ولخصوصيتهم الدينية، فقد عاش اليهود أسوأ بالمغرب وباقي البلدان العربية، وفي أحياء مستقلة، بعضها مسورة، كما هو الحال في اليمن والمغرب، وفي ظل إدارة شرعية مستقلة يرأسها الحاخام، الذي مثل اليهود في حضرة الإمام، وحال هجرتهم عام 1948م، تم تمكينهم من بيع ممتلكاتهم بشكل رسمي، فكان أن غادر يهود اليمن تاركين إرثهم الحضاري وأضرحتهم، ومن أشهرها ضريح الحاخام شالوم الشيزي الذي عاش في القرن الـ17م.

الأمر كذلك بمصر والعراق التي برز فيها كثير من الشخصيات اليهودية، وربطت بينهم وبين المجتمع المصري والعراقي أواصر التعارف والصداقة، كما هو الحال في اليمن والمغرب أيضاً. وكل ذلك حقيقة تم توثيقها في كثير من الدراسات والمقالات العلمية، منها دراسة للكاتبة بعنوان «يهود اليمن النشأة والتكوين»، ومقالة علمية للدكتور خالد التوزاني بعنوان «الملاح: الحي اليهودي بمدينة فاس».

أخيراً، **هي رسالة عربي لليهود العرب** يبحثها إليهم، وقد أقتله حجم الإجماع الممارس ضد شعب أعزل، مؤملاً أن يفكروا بعقل، ويدركوا أن نظراءهم من يهود أوروبا (الأشكناز)، الذين يتولون السلطة بجبروت واستبداد، سيلقون بهم إلى التهلكة، فهم اليوم يترأسون الكيان الإسرائيلي، ويتمتعون بخيراتهم، ثم إذا جدَّ الجَد، تركوا الأمر ويهربوا إلى منتجعاتهم في أنحاء العالم، تاركين اليهود العرب (السفريديم) وحدهم يجرون أنيال الخيبة والنذل، وفي هذه المرة لن يجدوا من يرحمهم، وتلك هي النبوءة النبوية، أقول ذلك: لعل وعسى، والله غالب على أمره.

كان – وكان فعل ماض – للاختبارات المدرسية هيبه تهرق نفوس الدارسين، فأسئلة الامتحان تأتي موحدة الصيغة، ومحددة وقت تنفيذها من وزارة التعليم (المعارف سابقاً)، ويروى من عاصر هذا الجيل العجب، أقلها زلزلاً جملة (لم ينجح أحد) الذي يضرب كل كيانات المجتمع الأسر والحي والقرية وربما المدينة، دون أن يخدش طوبى في حائط المدرسة، أو يرف له شارب المدير أو حتى يسيل له كحل عين المدير، بل لا ترتعد فرائص طاقم معلمها من الوطنيين على ندرتهم أو المتعاقدين من الوطن العربي بمختلف جنسياتهم وأجناسهم كما هو حال اليوم. هذه الكارثة تنقلها الإذاعة عبر أثريها، وتستقبلها الجموع الغفيرة حول المذيع كشهود إثبات، دون أن يجروا أحدهم على السؤال عن سبب ذلك!

ودارت الأيام وتمرد الطالب على المعلم والمدرسة والمنهج والامتحانات بقوة التعاميم المفسرة للنظام. وللانصاف، فإن فئة قليلة جدا منهم حولت هذا التمرد إلى إبداع يفوق الوصف، والبقية استطاعت أن تكيف النظام وتعاميمه مرة تلو المرة، ولك أن تكررهما كثيراً لأنه من الصعب حصر عددها في العقود الثلاثة الماضية، فقد تلاشت دقة قياس الاختبارات التحريرية رغم أهميتها، لأسباب أهمها تقادم زمنها مع ثورة التعلم الالكتروني التي نعيشها حديثاً، أو لضعف معددها أكاديمياً وتربوياً في ظل تغاضي المسؤول في إدارة المدرسة أو في مكاتب الإشراف التعليمية ومكاتبها عن هذا العبث، تحت ذريعة (ما دام تمشي؛ منسأها). وقد يكون السبب هو التناقض الذي تعييشه وزارة التعليم في وضع معايير دقيقة للاختبارات، فمن يرى ويسمع ما تفعله وزارة التعليم في مسووبها من المعلمين والمعلمات، خلال اختبارات قياس للحصول على رخصة التعليم، سيرك أن هناك خلا كبيراً بين معايير هذه الاختبارات التي اعتمدت على أساليب التذكري، للإيقاع بهم في مستنقع الأخطاء، باستعادة نظريات الحفظ والتلقين والنبش في تعاريف ومقدمات لاستراتيجيات التعلم منتهية الصلاحية منذ الثورة الصناعية في الصين؛ ومع ما تطلبه الوزارة من تطبيق لضوابط الاختبارات المقننة من الفئة نفسها التي كانت تختبرها بدون ضوابط واضحة ولا تقنين عادل، ومن التناقض العجيب أن تنص التعاميم على ضرورة الالتزام بما ورد في دليل الاختبارات لعام كذا؛ ثم تأتي خوارم هذه التعليمات في الفقرات التي تليها بضرورة تبسيط الأسئلة، وألا تخرج عن الأسئلة التي ذيل بها كل درس، بل إن العجيب أن ينص الدليل التنظيمي على منع التصوير داخل المدارس، وعدم تشتيت انتباه الطلاب أو الطالبات، واستبعاد كل ما يسبب توترهم قبل وأثناء تأدية الامتحان، وفي الوقت نفسه نجد أن إحدى (مسؤولات) التعليم تقتحم قاعة لطلاب مراهقين يؤدون الامتحان، وهي برفقة حاشية كبيرة من المرافقين والمصورين والإعلاميين، غير مهتمين بكل ما بعثت به وزارة التعليم من أدلة تنظيمية أو تعاميم تفسيرية، ولعل هذا لكون (الفلاشات) هي الأهم فهي الإيجاز الحقيقي، والسبيل الهادي للكراسي ذات القوائم المرتفعة، ولا أعلم متى سنخرج من دائرة هذه التناقضات في التعليم.

أخيراً، **واقع التعليم** المدرسي يحتاج إلى إعادة نظر، وما نعيشه كواقع نلمس فيه قصوراً يحتاج إلى حل عاجل، من أهم نبوده – في وجهة نظري – رفع الحصانة عن عقليات (مشها)، لأنني أخشى أن تكون النتيجة (لم ينجح أحد).

ما قد يؤسس لمرحلة جديدة من النمو الإداري الصحيح.

انظروا معي في تطور الرياضة السعودية، وعلى الأخص كرة القدم، وكيف أصبح نادي النصر ونجمه العالمي (كريستيانو رونالدو) محل اهتمام العالم بأسره، شرهه وغريبه، وانظروا لجماليتهم الكرة التي يقدمها لاعبو النصر، ومدى تفوقهم عديا، بل أصبح بفعل الصندوق فريقاً عالمياً كما هو حال ريال مدريد وبايرن ميونخ أو مانشستر سيتي، ثم تخيلوا معي جامعة سعودية يملكها صندوق الاستثمارات العامة ويتعاقد لها مع ثلاثة أو أربعة علماء ممن حازوا على جائزة نوبل في الفيزياء أو الكيمياء أو في الاقتصاد أو الأدب، يعملون فيها عملاً مباشراً، ويوجهون زملاءهم من الأساتذة المحليين توجيهها ثمراً ومؤثراً، تماماً كما يفعل رونالدو مع نجوم النصر المحليين!

لا أبالغ إن قلت إنني على يقين لا بخالطه شك البتة أنه إذا ما استحوذ الصندوق على إحدى الجامعات المحلية استحوذاً كلياً أو جزئياً فإنها في غضون سنوات قلائل ستصبح جامعة عالمية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وسوف تتنافس مع جامعات عريقة ومرموقة كجامعات هارفارد وأوكسفورد وبرينستون، ولعلي أربط هذا اليقين القاطع ربطاً مباشراً بنجاح الصندوق ونجاح من يديره ويرعى استثماراته، كيف لا ورئيس مجلس إدارته سمو ولي العهد الأمير المهلم الفذ محمد بن سلمان حفظه الله!

لم ينجح أحد

حسن علي القحطاني



@hq22222

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام



المكرمة • Makkah AlMukarramah

رئيس مجلس الإدارة

عبدالعزیز بن محمد عبده يماني

المدير العام المكلف

ورئيس التحرير

موفق بن سعد النويصر

alnowaisir.m@makkahnp.com

مدير مركز المحتوى الإبداعي

علي حسين بن مطير

mutera@makkahnp.com

المركز الرئيسي: مكة المكرمة

هاتف: 0125201733

فاكس: 0125203055

ص.ب: 5803

الرمز البريدي: 21955

فاكس الإعلانات: 0125201423

فاكس الاشتراكات: 0125200734

الاشتراكات: 0504720131

makkah@makkahnp.com

جدة

هاتف: 0126570402

فاكس: 0122345938

الرمز البريدي: 21553

ص.ب: 51787

لمراسلة الإعلانات الحكومية والفردية والتجارية:

gov@makkahnp.com

ads@makkahnp.com

رقم الإيداع: 1762/1435

ردم: 1658-6646



الرقم الموحد:

920003453

الاشتراكات:

0500882058